المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي إلى النص التاريخي

أثناء سعي الطالب والباحث في البحث عن الحقيقة التاريخية يلتقي بنصوص تتناول الحادثة التي يريد البحث عنها، نصوص تحمل معلومات متعددة تفيده بشكل أو بآخر، نصوص خلفها مؤرخون ومشاركون في رسم الأحداث، ولكن قبل توظيف ما حوته من معلومات لابد أن يطبق عليا منهجية علمية تنير مختلف جوانبها الغامضة، وهي التي نطلق عليها دراسة نص تاريخي.

1-النص التاريخي

1-1- تعريف النص التاريخي: هو وثيقة تاريخية تساعد على التركيز حول مضمون حادثة تاريخية معينة، يعرفه الباحث **مارسيل رينارد:** "بأنه وثيقة مكتوبة شاهدة على الماضي البشري، بأية لغة كانت، شريطة أن تكون أصيلة"، ويعرفه بول ريكور بقوله:" النص هو كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة" [1] ، وتحليل النص التاريخي يتطلب إلمام الطالب بمنهجية لها شروطها وضوابطها العلمية في بحث الموضوع، وبها يمكن الطالب من الحصول على مختلف أدوات وآليات البحث والتحليل للإلمام بالتصورات الكلية في فهم وتفسير وتعديل وتحليل المواضيع التاريخية واكتساب المعرفة التاريخية.

1-2-أهمية تحليل النصوص التاريخية

نستخلص من تحليل النصوص التاريخية جملة من الفوائد نذكر منها:

- اكتساب معارف نجهلها وتدعيم وتعميق فهمنا للمعارف التي اكتسبناها.

- التعود على المحاكمة العادلة في تفسيرنا للأحداث التاريخية الموضوعية.

- التعرف على سير التاريخ وحوادثه عبر عصور مختلفة، والتي لا يمكن ملاحظتها مباشرة في الحاضر إلا ببعث هذا الماضي ودراسة حيثياته حسب تعبير المؤرخ الفرنسي جود ميشلي

- يولد النص في نفوسنا الرغبة وحركة القيام ببعض الأعمال المفيدة لقضايا مجتمعنا وتخليصه من خطاياه العديدة المتكررة.

---

[1] - فضل صلاح، بلاغة النص وعلم الخطاب، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص 219.

- التعرف على الوسائل والكيفيات التي استعملت في زمانه وهي عادة ما تكون معقدة ومبهمة مقارنة بعصرنا الحاضر ولفهمه يجب تحليل الشروط التي أوجدتها إذ لا توجد حوادث منعزلة لذاتها بل هي حوادث تؤلف قضايا حسب مفهوم توينبي للتاريخ.

- توقيف الفكر ونقله من التصديق العامي إلى التعود على النزاهة والأخذ بمبدأ الشك والنسبية والحد من الانسياق وراء ضجيج الأفكار والقناعة بالحدث بعد التمحيص والتحليل.

- وفي الختام لعل أكبر أهمية لتحليل النصوص التاريخية تكمن في اعتبارها وسائل كفيلة بمعرفة الحدث التاريخي والاستفادة من الماضي لبناء المستقبل .

1-3-أنواع النصوص التاريخية: تختلف النصوص التاريخية من حيث أمرين، حسب طبيعتها، وحسب موضوعها، والشكل التالي يوضح الأمر:

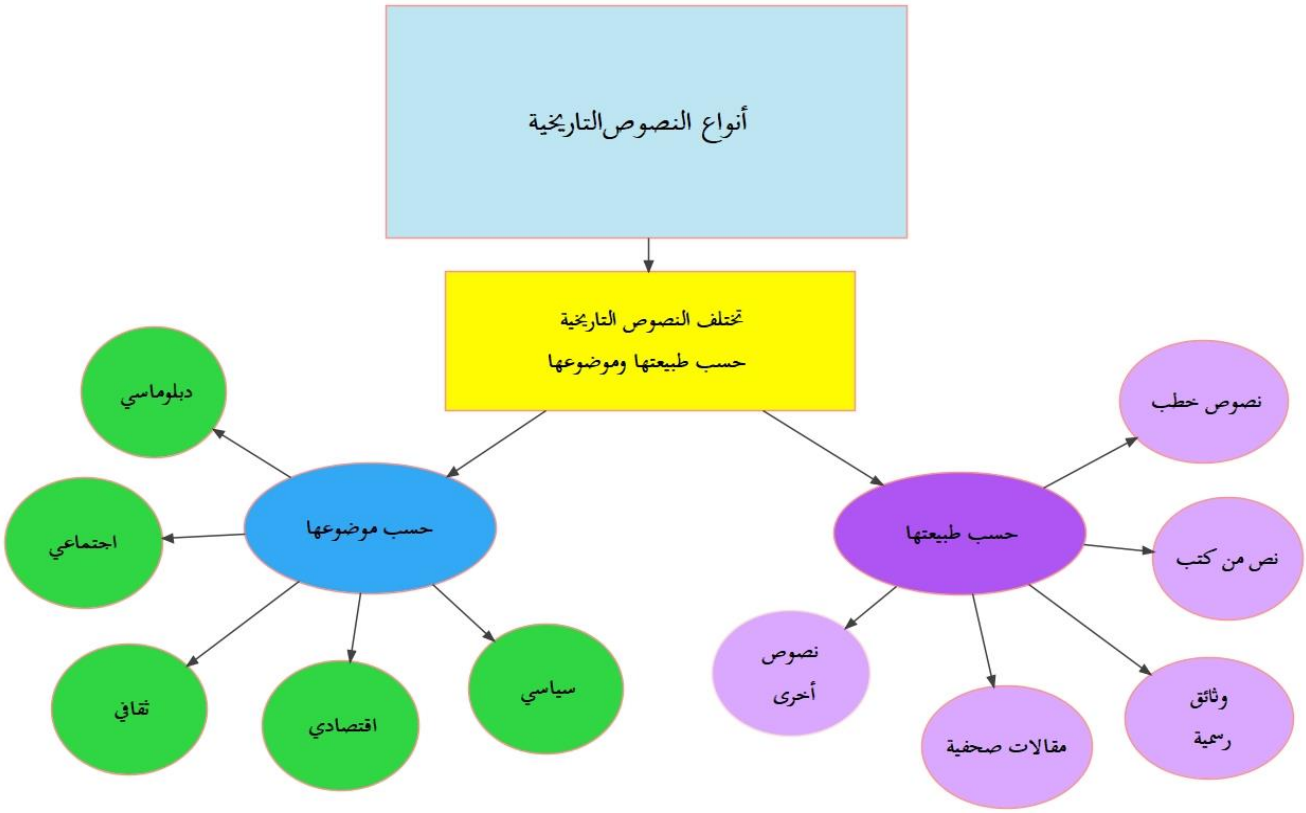

1-4-العوامل المساعدة على دراسة النصوص التاريخية:

إن معالجة أي وثيقة تاريخية لا يمكن تحقيقها إلا إذا توفرت عوامل أخرى مساعدة ذلك لأن الوثيقة التاريخية تبقى صامتة غير مفيدة ما لم تفكك رموزها وتترجم بأسلوب بسيط يسلط الأضواء على الجوانب

الخفية فيها ومن بين العوامل التي تبسط مضمونها جملة من الشـروط لا بد من توفرها في دارس الوثيقة ليتمكن من التعامل معها والاستفادة منها ومن بينها ما يلي:

- ضرورة الإلمام بالفترة التاريخية المراد دراستها: ومعنى هذا أن يكون للدارس رصيد من المعلومات يساعده على رصد الحقائق ومعالجتها معالجة نزيهة وموضوعية، ويتحقق ذلك من خلال القراءة المستفيضة للمادة التاريخية.

- اكتساب القدرة على التحليل واستنباط المعلومات ومقارنة الأحداث والتركيز عند المعالجة دون الاعتماد على الأسلوب الوصفي والسرد الأدبي.

- معرفة اللغة معرفة جيدة: وذلك يتوقف على تحكم الدارس في اللغة وإلمامه بفنونها حتى يحيط بالأبعاد التي يرمي إليها النص المراد تحليله.

- دراسة علم الآثار والحفريات: لما لها من صلة وثيقة بالتاريخ.

- التعرف على قراءة الحروف القديمة: لقراءة المخطوطات والنقوش التي تعود إلى حضارات ضاربة في أعماق التاريخ البشري.

- الاطلاع على المدارس الأدبية: معرفة مراحل تطورها والوقوف عند أغراضها نظرا لصلة التاريخ بالأدب في كثير من الحالات سواء تعلق الأمر بالدراسات النثرية أو القصائد الشعرية، كما نرى ذلك في تاريخ الجزائر من خلال مقالات الشيخ البشير الإبراهيمي وقصائد الشاعر محمد العيد آل خليفة وغيره.

2-منهجية دراسة نقدية لنص تاريخي:

يتم دراسة النص وفق مجموعة منتظمة من الخطوات تندرج ضمن شقين النقد الخارجي (الظاهري) والنقد الباطني (الداخلي).

2-1-الدراسة الوصفية للنص أو الوثيقة التاريخية (التحليل الظاهري):

يجب على الباحث بادئ الأمر أن يتعرف على النص ويحاول فهم خطوطه العريضة، وهذا بقراءة متأنية عميقة لما يحتويه النص ومعرفة بمؤلفه والسياق التاريخي(الظروف) الذي أنتج فيه النص، ولإنجاز هذه الدراسة لا بد من اتباع الخطوات الآتية:

أ-تعريف الكاتب أو الكتاب: من مؤلف النص؟، تاريخ مولده ووفاته وقيمته العلمية درجة اتصاله بالحدث التاريخي: شاهد عيان، صاحب مذكرات، مسئول رسمي... ومدى معاصرته للأحداث.

وتكمن أهمية التعرف على المؤلف في كون كتابة التاريخ تختلف من مؤرخ لآخر، فهناك مؤرخ البلاط، والمؤرخ الهاوي، والمشارك في الحدث والمؤرخ الأكاديمي، ومعرفة حياة الكاتب تكشف لنا الأسباب والظروف التي دفعته إلى الاهتمام بالواقعة والكتابة عنها وتفيدنا بمعلومات في تحليل النص، كما تهمنا أيضا الفترة التي عاش فيها الكاتب وعايش خلالها الواقعة فضلا عن معرفة اتجاهه الإيديولوجي والسياسي والفلسفي لما له من أهمية في تأثير حكمة على سلوكيات عناصر وأفراد الواقعة التاريخية.

ب-تحديد الإطار الزماني والمكاني للنص:

متى؟ الظرفية التي وقعت فيها أحداث النص: تسميات متعددة: السياق التاريخي، الإطار التاريخي، الظرفية التاريخية للنص، ويتضمن هّذا العنصر:

- تحديد الفترة والمكان اللذين جرت بهما أحداث النص.
- التعريف بخصائص الفترة التاريخية التي أدت إلى أحداث النص

ج-طبيعة النص: ان النص التاريخي يحمل في موضوعه بعدا معينا ونعني به مجال انتماء الواقعة التاريخية فقد يكون النص تاريخيا ذو صبغة سياسية، اقتصادية، ثقافية، عسكرية، دينية...الخ.

د-شرح الإعلام والمصطلحات الواردة في النص:

شرح الكلمات الغامضة في النص التي تساعد الباحث على فهم الحادثة اوقد تكون هذه الكلمات: أسماء أعلام وأماكن ومفردات وتعابير خاصة وغيرها.

هـ-تحديد الفكرة العامة والأفكار الأساسية:

فالنص دائما يحمل فكرة عامة يرغب في إيصالها، ويشترط في تحديد الفكرة العامة أن تكون جملة مفيدة تغطي كل جوانب النص، **أما** الأفكار الأساسية أو الرئيسية، فهي حلقات ضمن الفكرة العامة التي ترمز إلى المعنى الكلي والإجمالي للنص المشكل للواقعة في طابعها العام عند تحديد الأفكار الرئيسية يجب تحديد بداية الفقرة التي تتضمن كل فكرة رئيسية ونهايتها مع وضع شبه عناوين لها وذلك بغرض التحكم أكثر في فهم النص وتقطيعه.

2-2-الدراسة الباطنية (التحليل الداخلي):

هذه المرحلة مهمة جدا في تحليل النصوص لأنها تمكننا من معرفة خبايا وأهداف النص الحقيقية وهي تبدأ بالتحليل والشرح وتنتهي إلى الاستنباط والاستنتاج والنقد، ولتحقيق ذلك لابد من اتباع الخطوات التالية:

أ-تحليل النص وشرحه: وهنا تعالج المواضيع الجزئية التي تشكل النص وذلك باستعمال رصيد المعلومات الذي يمتلكها الطالب.

ب-إعطاء النص أبعادا جديدة وإضافات وافية: وذلك يكون بأسلوب رزين وهادئ بعيد عن الأسلوب الحماسي البطولي أو الخطابي العاطفي لتجنب تحريف النص وتزييف التاريخ وحتى لا يوظف النص لأغراض ذاتية لا تخدم التاريخ في شيء.

ج-ضرورة التقيد بالنص: وذلك تجنبا للخروج على الفكرة العامة للنص الذي يفقده قيمته التاريخية.

د-معايشة النص من خلال حبكة التحليل (نقد النص): يجب أن يتصف المحلل للنص بملكة النقد والإفصاح عن الرأي بعد الوقوف عند جميع الحيثيات المكونة للنص ولذلك تعتبر هذه المرجعية صعبة جدا لأن الدارس يصبح عند إذن مسؤولا عن الأحكام التي يصدرها بشأن النص لهذا وجب عليه أن يبني نقده للنص واستنتاجاته على أسس علمية ونزيهة وعليه أن يبتعد على قول شيء قد يعلم أنه خطأ وأن يقول كل ما يعتقد بأنه صواب باعتبار مهمة النقد هي التميز بين ما هو حق وما هو باطل.

د-الاستنتاج والتقييم:

بعد الانتهاء من تحليل النص على الدارس أن يخرج بجملة من النتائج والتقييمات التي يحبذ أن ترتب في شكل نقاط توصل إليها بعد عملية التمحيص والمقارنة مع الأحداث المعاصرة والواقع المعاش والغرض من ذلك هو بث روح جديدة في النص وإضافة طابع الحركية التاريخية على شكل قيم ومبادئ وحقائق حتى نصبغ على الماضي جوا من الحقيقة ونجعل من التاريخ طابعا للوضوح والإحياء وكل ذلك يوظف في بعث الماضي وإحيائه والوقوف عند محاسنه وعيوبه والتحكم في بناء الحياة الحاضرة الخالية من القضايا الشائكة التي تعصف باستقرار الأمم والشعوب وبقاء الحضارات.